المعرفة

العدد ١٤٨ حزيران ١٩٧٤

عدد خاص

أزمة التطور الحضاري في الوطن العربي

الأبعاد التاريخية لأزمة التطور الحضاري العربي — د. شاكر مصطفى
التخلف الفكري وأبعاده الحضارية — د. نور الدين حاطوم
التخلف السياسي وأبعاده الحضارية — د. فؤاد زكريا
القيم والعادات والتقاليد العربية — د. قسطنطين زريق
العائلة والتطور الحضاري في المجتمع العربي — د. هاشم الحافظ
أزمة التطور الحضاري: معناها ومظاهرها — د. حسن صعب
الدين وأزمة التطور الحضاري — د. بهاء أبو لبن
عوامل التخلف السياسي والاقتصادي في العالم الثالث — د. [illegible] شرابي
د. اسحق يعقوب القطب
د. محمد جواد رضا
د. محمد النويهي
د. عبد الهادي أبو ريدة
د. ابراهيم أبو لغد
عبد الكريم غلاب
د. عمار بوحوش

كولن لنا هيسلون

شعر: نذير العظمة

الدكتور عبد الكريم غلاب

تعقيب

على بحث «الاستعمار وأزمة التطور الحضاري العربي» الذي كتبه الدكتور ابراهيم أبو لغد

في بحثنا لأزمة التطور الحضاري في الوطن العربي ودور الاستعمار في هذه الازمة يجب أن نعود قليلاً الى الخلفيات التاريخية للاستعمار نقيم مدى أثره في أزمة التطور الحضاري في بلادنا .

واعتقد ان الاستعمار الاوربي للعالم العربي لم يباغم بغتة هذه البلاد في القرن الماضي وأوائل هذا القرن ليضع حداً لاستقلالها فحسب ، ولكن له خلفية تاريخية لها

صة قوية بالتطور الحضاري لأوربا وصراع الحضارة مع العالم العربي . وواضح ان مهاجمة الجزائر سنة ١٨٣٠ ثم تونس ١٨٨٠ ومصر سنة ١٨٨٩ ثم السودان سنة١٨٤٩ ثم المغرب سنة ١٩١٢ ثم تقسيم منطقة الشرق العربي الاوسط بين فرنسا وانجلترا بعد الحرب العالمية الاولى ، واضح ان هذه العملية الجريئة لم تكن فقط رغبة في احتلال هذه البلاد بل كانت الى جانب ذلك حلقة من حلقات اصطدام حضارة الغرب المسيحي بحضارة الشرق الاسلامي . وقد بدأ هذا الاصطدام منذ الحروب الصليبية التي استمرت ما بين القرن الحادي عشر والقرن الثالث عشر .

وتركت رغبة الاستعمار في الفكر الاوربي في القرن السادس عشر حين بدأت فكرة السلطة العليا تراود الاباطرة والرؤساء الدينيين والمدنيين في اوربا ، وأخذت دول غرب اوربا وعلى الاخص اسبانيا والبرتغال تقتسمان الاراضي الاوربية ثم تطلعوا الى ما وراء البحر ليمدوا امبراطورياتهم على افريقيا والامريكتين معاً . فما يخص الجانب العربي من افريقيا كانت المنطقة الغربية ، أي المغرب العربي ضحية هذا الهجوم الاستعماري اذ أخذ البرتغاليون يهاجمون المغرب منذ القرن الخامس عشر . وفي القرن السادس عشر كان البرتغاليون بالاتفاق مع الاسبانيين قد فصلوا المغرب نهائياً عن البحر باحتلال شواطئه الواسعة على المحيط بكل مدنها تقريباً كما احتلت اسبانيا شواطىء الجزائر من وهران حتى المرسى الكبير ، وحتى طرابلس في ليبيا تنفيذاً للحلف الاستعماري الاسباني البرتغالي .

ولولا الحملة التي قام بها شعب المغرب في الربع الاخير من القرن السادس عشر والتي انتهت « بمعركة الملوك الثلاثة » في وادي المخازن « في أغسطس ١٥٧٨ »والتي قضى فيها نهائياً على الامبراطورية البرتغالية ، لولا هذه الحملة لتغير وجه التاريخ العربي .

لم يكن الهدف من الحملة على شمال افريقيا العربية دفاعياً حتى لا يعود العرب الى الاندلس فحسب ، ولو ان هذا السبب كان رئيسياً ، وما زال المغرب ، يعاني نتائجه في احتلال اسبانيا لسبتة ومليلية ، ولكنه الى جانب ذلك كان سبباً اقتصادياً ، فقد كان البرتغاليون يستهدفون السيطرة على مناقذ الطرق الصحراوية وابعاد كل منافس عنها ، والوصول من وراء ذلك الى السيطرة على ذهب السودان — الذي كان في يوم ما في يد العرب المغاربة — وحاولوا الى جانب ذلك الاستيلاء على منطقة سوس المغربية التي كانت اكبر حقل لقصب السكر والقطن ، وكان المغرب ينتجها بكثرة ، وهكذا استولوا

على مراكز الذهب الاقتصادية للغرب ، فخنقوا المغرب اقتصادياً ووقع في أزمة لم يستطع معها مواصلة دوره الحضاري في المنطقة العربية الغربية ، كما لم تستطع الجزائر ولا تونس لهذا السبب .

لم يكن الاستعمار الاوربي الحديث الا حلقة من هذه السلسلة الطويلة ، فقد تطور العالم الاوربي صناعياً في القرون الثلاثة الاخيرة واخذت دول غرب اوربا تستفيد من المغامرات الاسبانية والبرتغالية ، وتطور التفكير الاستعماري من عملية النهب الى عملية اكثر تعقيداً هي ما يمكن ان نسميه النهب الدائري اذ أصبح النظام العالمي الجديد يتركز في السيطرة على الارض المفتوحة لتحويل انتاجها من المواد الخام الى موارد لصناعة رأسمالية توسعية ، واستنزاف اليد العاملة في شكل عبيد من افريقيا ، وتحويل انتاج اليد والارض الى مواد تجارية تعود بدورها الى الاراضي المستلبة لتدر الذهب والمال على الدول المصنعة المستلبة .

وهكذا لم يكن الاستعمار عملية احتلال واستيلاء على الارض بدعوى الدفاع عن النفس عن الاوربيين الغربيين، او لنصرة الكنيسة عندهم وعند الآخرين فحسب ،ولكنه تحول الى اخضاع الحضارات القديمة في العالم العربي بكل ما تقوم عليه من أسس ومفاهيم وصناعات لتفتح المجال امام الصناعات الفرنسية والانجليزية والاسبانية والبرتغالية والايطالية .

والواقع أن هذا التحدي الحضاري الزلق بالعالم الى تقسيم خطير . فقد أصبح الاستعمار كما يقول بيتر وورسلي في كتابه « العالم الثالث » نظاماً عالمياً أساسه الفتح ودعامته القوة . والعالم الجديد لم يكن عائلة من الامم المنسجمة . لقد كان بشكل رئيسي غير متناسق ، ففي القطب الواحد وقفت اوربا بصناعتها ، وفي القطب الآخر الامم التي حرمت من كل ميراث . ومن التناقض الظاهري أن العالم قد قسم خلال عملية توحيده الى مناطق نفوذ وإلى غني وفقير .

وتعدى التحدي هذا النطاق « ليصبح تفوق أوربا الطبيعي في نهاية القرن التاسع عشر مبدأ سارياً لا مراء فيه. وقد حكم بالانحطاط والضعة على حضارات الشرق المتنوعة التي كانت محترمة يوماً ما . حتى ان أحد الاوربيين يعلن في تبجح ، ان رفا واحداً في مكتبة اوربية جيدة يعادل كل التراث الوطني للهند والجزيرة العربية .

وكان هذا التحدي أثره النفسي الخطير فانه تدويل التفوق الكلي للحضارة الاوربية وتقبلها عامة هما اللذان أبقيا العالم غير الاوربي في حالة خضوع نفساني طويل الأمد ، وليست القوة وحدها هي التي فعلت ذلك .

هـذا هو التحدي الاول من الاستعمار الغربي للحضارة العربية ، وهو تحـدي الرأسمالية الخطيرة التي زحفت على العـالم تدمر في طريقها كل القيم الانسانيـة فتحتل الارض، وتستعبد الانسان، وتستغل الثروة وتقطع منافذ الاتصالات الانسانية لتحتكرها لمصلحة نموها ، أي نمو الثروة الفردية .

ولكن هـذا التحدي كان يحمل في طياته تحدياً من نوع آخر . فقد كان القرن الثامن عشر والتاسع عشر اللذان تركز فيها الاستعمار الاوربي في العالم يعبر عنها بعهد النور ، ويصف ميشليه القرن الثامن عشر بأنه « القرن العظيم » . ومن حـق الحضارة الاوربية أن تفتخر بهذا القرن . فقـد تطورت العلوم الطبيعية والكيمائية والرياضيات وعلم الفلك والعلوم الانسانية تطوراً كبيراً وظهر أمثال ديكارت ولوك ونيوتن وجان جاك روسو وكانت وغيرهم من الذين مازال نقوم على كتبهم أسس الحضارة الفكرية . ويمكن أن نقول اننا دخلنا في بداية القرن العشرين منذ القرن الثامن عشر من ناحيـة التطور العلمي . اذ أصبح الانسان يتعلم كل يوم شيئاً جديداً على غرار ماتواجهنا بـه حضارة القرن العشرين . وساد في هذا القرن الايمان بتقدم الانسانية وبدأ الانسان يتسلخ من التعبد للماضي، والانقياد المطلق لرجال الدين وللآراء الخرافية والطقوس التي التصقت بالدين أو استخدمها رجال الدين لابقاء سيطرتهم على المجتمع . وظهرت مذاهب فلسفية جديدة ، في الفكر الديني والفكر المادي على السواء . كما ان القرن التاسع عشر سجـل الايمان المطلق بالعلم واكتشاف الكون وانتصار العلم التجريبي النفعي . هذا بالاضافة الى تطور التقنيات العسكرية والملاحية والصناعية والانسانية .

القرن الثامن عشر والتاسع عشر أوجدا نوعاً من التشبع أو الامتلاء في الحضارة الفكرية والمادية الاوربية . والمكسب يولد مزيداً من المطامع . والفكر المادي والتقنيات تولد مزيداً من التنافس . ومن ثم كانت الحروب بين دول أوربا بمأت اقليمية واذنت دولية ، لمحاولة السيطرة على المحيطات، وعلى القارات الاسيوية والافريقية ، استمراراً للامبراطوريات الاسبانية والبرتغالية . فبدأت محاولات الاستيلاء على الهند منذ بداية

القرن الثامن عشر ، وتم هذا الاستيلاء سنة ١٧٨٩ . ونحن نعرف ماذا جره الاستيلاء على الهند من مشاكل استعمارية للعالم العربي بأجمعه .

هناك إذن تحد آخر ليس قوامه المال والقوة الصناعية ولكن قوامه العلم والحضارة الفكرية . النمو العلمي والفلسفي وتطور الحياة في الميدان التقني هو الذي جعل سادة أوربا من الفرنسيين والانجليز ينظرون بنوع من الاستخفاف الحضارات القديمة التي نشأت في الهند أو على ضفاف البحر المتوسط الجنوبية والشرقية باعتبارها حضارة انتهت وتجاوزها الزمن ، ولم تعد غير مومياء تشد عقل الانسان بسحر غيبي الى الماضي وتغرقه في كثير من التضليل الخرافي .

هذه الحضارة التي نقلتها أوربا لايمكن اغفالها في بحث أزمة الحضارة في الوطن العربي، ولو أن الاوربيين نقلوا معهم حضارتهم لهم ومن أجلهم، ونقلوا بعضها ليسخروا ويؤثروا على قوة مقاومتنا ، كما فعل نابليون في مصر ، أو ليستعينوا بهذه الحضارة الفكرية في اكتشاف بلادنا والسيطرة عليها ، كما فعل علماء الانسانيات وهم يتسربون إلى المناطق المختلفة من بلادنا العربية ليكتشفوها جغرافياً وتاريخياً وانسانياً وحضارياً . وكانت تقاريرهم هي التي اعتمدت عليها جيوش الاحتلال وهي تشق طريقها في الجبال والادغال والصحارى .

الجانب الثالث من التحدي الحضاري الذي واجهنا به الاستعمار ، قصد الى ذلك أو لم يقصد هو النظم السياسية والاجتماعية الجديدة التي تطورت في أوربا في القرون الثلاثة الاخيرة نتيجة لتطور النظري والعملي في هذه البلاد فنحن نعرف التطور الذي حدث منذ القرن السابع عشر بانكلترا في تطور نظام الدولة وظهور الفئات الاجتماعية من الاورستقراطيين والبورجوازيين والملكيين والداعين الى الاشتراكية ، والعاملين في سبيل الديمقراطية والنظام التمثيلي . ونحن نعرف أن الثورة الفرنسية انبعثت من الاحتكاك بين هذه الفئات الاجتماعية التي تركزت في المدن التي كان فيها البورجوازيين مسيطرين ، وبدأت الطبقة البروليتارية تبحث عن وجودها نتيجة تطور الصناعة ، وفوق هؤلاء واولئك كان النبلاء وأصحاب الامتيازات الاقتصادية والاجتماعية ، ثم طبقة الفلاحين الفقراء ، والى جانبهم الاقطاعيون الكبار . هذا الخليط من الفئات الاجتماعية التي فتحت أعينها على عصر النور والعلم بدأت تفكر في نفسها وفي مصالحها وفي حقوقها الانسانية وكانت الثورة التي انتهت بالغاء النظام الاقطاعي في صورته القديمة ، والتي

حققت الحرية والمساواة والعدالة ، وأعلنت حقوق الانسان ، وحولت النظم الاقتصادية والتشريعية بعد أن وضعت السلطة التشريعية والتنفيذية في يد الشعب وحاولت اعادة النظر في توزيع الثروة ، ومكنت الفرد من حرياته المطلقة .

وعن الثورات الانكليزية والفرنسية نشأت الانظمة السياسية والاجتماعية المختلفة ، الجمهورية بدلاً من الملكية ، الملكية المقيدة بدلاً من الملكية المطلقة الدكتاتورية ، الديمقراطية البرلمانية ، الاقتراع العام ، المجالس المنتخبة الخ ..

هذا فكر حضاري انتقل الينا مع الاستعمار ، أراد الاستعمار أم لم يرد . شعرنا بذلك نحن أو لم نشعر . بل ان الاستعمار - والاستيطاني منه بصفة خاصة - أخذ يطبق هذه الأنظمة في بلادنا ، فكان ينظم المجالس البلدية والغرف التجارية والنقابات وينظم انتخابات لممثلي المستوطنين الفرنسيين مثلاً في المجلس الوطني الفرنسي بل الممثلين لبلاد التي الحقها بالوطن المستعمر في المجلس كما كان يحدث في الجزائر .

هذه انظمة حضارية دخلت لبلادنا عن طريق الاستعمار ، سواء منها ما صنعه هو بنفسه أو ما قلده فيه . ودخلت بلادنا مع ما يتبعها من فكر تحرري تقدمي يهدف كما هدف الفكر الاوربي حينما اصطنع لنفسه هذه الانظمة - الى تطوير البلاد سياسياً واقتصادياً واجتماعياً على أساسها . وهي بدون شك تعد للانظمة الحضارية التي عاشت عليها بلادنا ردحاً طويلاً من الزمان .

والتحدي الرابع نجده في التراث الأدبي والفني والموسيقي الذي انتقل الينا مع الاستعمار ، فأخذ العالم العربي يطلع على ما ينتجه الادباء والفنانون والمثقفون على العموم من انتاج بالغات التي تعلموها عن طريق الاتصال الذي أوجده الاستعمار ، ويتأثرون بالفنون المختلفة من مسرح وموسيقى وفنون تشكيلية وصحافة وطباعة الخ . وهو نوع من التحدي للحضارة العربية التي لم تعرف من هذه الفنون الا التراث الادبي والموسيقي والتصويري الذي تعرف .

والتحدي الخامس نجده في الفكر الاشتراكي الذي انتقل الينا من الاتصال الفكري بالثورات الاوربية وخاصة ثورة اكتوبر ثم مكن له في الوطن العربي بعد الحرب العالمية الثانية وعلى أثر انتصار الاتحاد السوفييتي على الجيوش النازية والتفتح الذي شهدته

هذه البلاد بعد الانعزال الستاليني ، ثم بعد الثورة الشيوعية في الصين وانتصار الماوية في الشرق الاقصى بعد حرب فيتنام .

هذا الفكر الحضاري ليس اتجاهاً سياسياً فحسب ، ولكنه الى جانب ذلك اتجاه فكري فلسفي اقتصادي يمكن أن نقول انه أقوى فكر يمكن أن يصطدم مع الحضارة العربية الاسلامية التي عاش عليها الوطن العربي في تاريخه .

هذه جوانب من التحديات ليست كلها سلبية ، ولكن الجانب الايجابي فيها لايقل عن الجانب السلبي إن لم يكن يفوقه بكثير . وخلاصة هذا الجانب الايجابي ان الاستعمار وصلنا بالعالم وبالحضارة الحديثة ، وبالفكر المتطور الحديث .

هل كنا سنصل دون واسطة الاستعمار ؟ .

سؤال أعتقد أن الاجابة عنه لاتجدي . فلم نكن في حاجة الى المؤرخين الاستعماريين ولا الى المستشرقين ليفتحوا أعيننا على الجانب الايجابي في الحضارة الاوربية التي نقلها الاستعمار لبلادنا . ولم نكن في حاجة الى « الدراسات والبحوث القليلة الجديدة التي رفضت الاسس الفكرية لهذه النظرية ، والتي تدل دلالة واضحة على أن حركات التغيير في العالم العربي ، ومحاولات استئناف النشاط الفكري والسياسي سبقت الوجود الاستعماري في المنطقة » ، كما يقول الاستاذ المحترم الدكتور ابراهيم أبو لغد .

فالفكر الفلسفي الذي قامت عليه حركة الوهابيين المنطلقة أساساً من الفكر المتحرر لابن تيمية ، والحركات التي قامت في الأزهر أو في فلسطين أو عند الشهابيين في لبنان او الصراع الذي كان بين الحكم التركي والشعب في مصر والجزائر وتونس ، كل هذه الحركات التحررية لايمكن أن تعتبر بديلا للتحدي الحضاري الذي واجهنا به الاستعمار وهويقتحم الوطن العربي .

وما نظن أننا في حاجة الى التدليل على أن مسيرة الثورة الوهابية في الجزيرة والسنوسية في ليبيا والشهابية في لبنان لم تكن لتفتح أعيننا على حضارة القرن العشرين ، ولم تكن لتوجد أزمة حضارية نعانيها في حياتنا وندرسها في هذه الندوة .

ويقول الدكتور ابراهيم : ان الاحتلال الانجليزي لمصر والاحتلال الفرنسي لتونس جاء بعد ان نجحت الفئات الوطنية في مصر وتونس في وضع أسس طيبة للحكم الوطني ، اذ ان الحركات الوطنية والفكرية في مصر وتونس عبر القرن التاسع

عشر صارعت الفئات الحاكمة للحصول على مزيد من حرية العمل والفكر ولتحديد الحكم المطلق الولاة منها ، ووضع اسس دستورية وتشريعية كفيلة بالمساهمة الشعبية في الحكم .

ولعل الدكتور ابراهيم في حاجة الى كثير من الحجج ليؤكد ان هذه الحركات ذاتية وليقرر ان النفوذ الانجليزي في مصر لم يبدأ منذ سنة ١٧٧٥ حين مال الانجليز الترخيص لهم بالدخول الى مرفأ السويس ، وحينما انشأوا قنصلية بالقاهرة في السنة التي تليها ، وحينما أخذ منذ ذلك التاريخ المبكر الضباط الانجليز والموظفون والتجار يعتمدون السويس في طريقهم الى الهند عبر الصحراء . ثم حينما ركز الفرنسيون ليناقسوا الانجليز ، مثل هذه الامتيازات بعد ذلك بنحو عشر سنوات فقط ، وحينما اخذ الفرنسيون منذ ذلك التاريخ يفكرون في احتلال مصر ، وحينما كون الفرنسيون لأنفسهم أمة خاصة داخل الدولة المصرية بنظمها وامتيازاتها برأسها القناصل . ولعله أيضاً في حاجة الى كثير من الجهد ليؤكد ان هذا الاستعمار المقنع لم يكن له تأثير مباشر أو غير مباشر في أية نهضة نشأت في مصر بعد ذلك .

ولعل أحداً منا لايستطيع ان ينكر ان افكار الثورة الفرنسية قد دخلت مصر عن طريق الجيش الغازي : جيش نابليون سنة ١٧٩٨ وان العلماء الذين صحبوه قد نقلوا الكثير من مكتشفاتهم العلمية — أرادوا أو لم يريدوا — الى مصر ، وان البيان الاول الذي أصدره نابليون في الاسكندرية باسم الحكومة الفرنسية يحمل بعض أفكار الثورة الفرنسية في الحرية والمساواة والعدالة ، ثم التبشير بعهد الخلاص الذي وجد فيه المصريون فكرة الخلاص من المماليك ، ولم يجدوا فيه بالطبع الخلاص العملي على يد الفرنسيين ولا على يد الاحتلال الفرنسي أو الانجليزي ، بل ان الاحتلال الفرنسي أوحى للمصريين بفكرة المقاومة لهذا الاحتلال نفسه . ذلك ان نابليون اجنبي غريب غير مسلم ، ولا يمكن الا ان يكون كما قال الجبرتي شاهد العصر : « انعكاس المطبوع وعموم الخراب » .

وما من شك في أن السنوات القليلة التي قضاها الفرنسيون في مصر قد أثرت في نظام الحكم الذي أقامه محمد علي بعد ذلك ، ولو ان الحاكم المطلق لايمكن ان يستفيد من التجارب ، ولو كانت مثل التجارب التي أتى بها عصر التنوير . ونحن لانكر الأثر الذي تركه الحكم التركي في العالم العربي ، وخاصة في مناهضة استبداد السلطة والتطلع

الى حكم ديمقراطي . فكله من نتاج الحكم الاجنبي سواء كان تركياً أو فرنسياً أو انجليزياً.

هذا التحدي الحضاري في مظاهره المختلفة التي تحدثنا عنها ، صاحبه تحد من نوع آخر وضع القاء الانساني ، آنذاك ، حول حضارة السالبة واحدة في شبه المستحيل. فقد انتشر الاوربيون في الشرق والغرب وحتى في اوربا نفسها تدفعهم روح الفتح والغزو . اكتملت لهم الوسائل الفكرية والفلسفية والعملية والتقنية ، وفجروا صراعهم الداخلي — بين انجلترا وفرنسا مثلاً — فيما وراء البحار ، فأخذوا يتنافسون على الهند مثل ما تنافسوا على أمريكا وما بين امريكا والهند وما يقع في طريق مراكز الامبراطوريات هذه ، ويصفون حساباتهم بالحروب ، التي تنتهي بغالب ومغلوب ، ولكنها تنتهي مهما يكن الغالب باحتلال مستعمرة جديدة . وكان الوطن العربي ضمن هذه المستعمرات المحتلة . ولكنهم كانوا ينظرون الى هذه المستعمرات نظرة احتقار واستخفاف ، ويعاملونها بما يتبع الاحتقار والاستخفاف من اضطهاد واستغلال . فقد أخذوا يؤمنون بأنهم وجدوا في هذه المستعمرات أقواماً متخلفين في الحضارة وغيبيين لاهوتيين ، بينما كانت الفلسفة الاوربية يميزها العقل العملي ، والوسائل العلمية التي يستخدمونها تطبعها التجربة .

وقد سيطرت روح الاستغلال والربح والاضطهاد على روح تكوين الانسان وتطويره التي بدأت في القرنين السادس عشر والسابع عشر . فلم تعد الحضارة مطبوعة بطابع الروح العلمية الحقيقية حتى داخل البلاد الاوربية نفسها ، وذلك كان نشر المعرفة والحضارة الفكرية انما يأتي عفوياً عن طريق الاقتداء والتقليد من المستعمر المستعمر ، أو عن طريق الضرورة التي تدفع بالمستعمر ان يرفع من شأن المستعمر حتى يحقق الهدف كاملاً وهو الاستغلال الكامل .

وهكذا نشأ بين الفريقين : سكان البلاد الاصليين والمهاجرين من الاوربيين صراع بدأ بالرعب والكراهية وسوء الظن ليتطور بعد ذلك الى القطيعة حتى في المجال الحضاري ، ومر القرنان الماضيان في صراع رهيب . اذ بدأ الاستعمار الاوربي يهاجم الهند في مطلع القرن الثامن عشر عن طريق شركة الاستغلال الانجليزية (شركة الهند الشرقية) وشركة استغلالية فرنسية ، وانتهى الصراع بين الفرنسيين والانجليز بانتصار انجلترا سنة ١٧٨٩ . وضاعت قوة الصين واستغلالها وخبت شمس حضارتها العظيمة في أواخر القرن ، وسقطت اليابان ايضاً في نفس الفترة . وهكذا تعرضت

الحضارات الثلاث الكبرى في وسط وشرق آسيا للكسوف ان لم نقل للانهيار . وفي نفس الوقت بدأ الهجوم على حضارة الشرق العربي، بدأ الانجليز بدا عبون مصر في سنة ١٧٧٥ وبدأ الفرنسيون بعد ذلك بعشر سنوات وتدخل الاسطول الفرنسي في احد موانىء تونس سنة ١٧٨٤ وتلوا امتياز احتكار صيد المرجان وأنشأوا وكالة تجارية في بنزرت، ثم جاء الهجوم على الجزائر سنة ١٨٣٠ . وبدأ سقوط اوراق الوطن العربي واحدة بعد الاخرى حتى تعرت الشجرة في الربع الاول من القرن العشرين .

نحن اذن امام مواجهة خطيرة بين حضارة قديمة معتمدة على اصول صالحة للبقاء، وصالحة كاطار لنمو عقلية جديدة ومفاهيم حضارية جديدة هي الحضارة الاسيوية الافريقية العربية التي يطبعها الاسلام ويفتح آفاقها على فكر متفتح ولكنها اصبحت حضارة ذاوية منكمشة تعتمد على الماضي وتخاف من المستقبل ، وبين حضارة جديدة متفتحة ذات آفاق اوسع ومتجهة نحو المستقبل ، وتستخدم الوسائل التقنية التي تقرب منها هذا المستقبل .

وقد كان الوطن العربي حتى نهاية الحرب العالمية الماضية محكوماً عليه بأن يواجه هذا الصراع سلبياً، لانه لم يكن يملك أن يختار السبيل التي يسلكها في تطوره الحضاري. ولكنا مع ذلك كنا نواجه ـ ونحن لنتلمس المستقبل ـ عقداً خطيرة في مواجهتنا لحضارة الحتم . ومن المؤسف أن تكون هي قد اتخذت منا موقف الخصومة .

من هذه العقد :

أننا كنا نخاف من الحضارة الجديدة لأن أهلها ينتسبون الى عالم آخر دينياً وعرقياً ولغوياً وحضارياً ، عالم دأبنا على أن نسميه عالم الكفر بكل ماتحمل هذه الكلمة من مغايرة لعالمنا الذي كنا نعتز به ونتشبث به في حماس ولهذا نحاول أن ندافع عن أنفسنا ازاء الحضارة الحديثة حتى لاتفرقنا في عالمها الكافر . ومن سوء الحظ ان الذي زاد في تركيز هذه العقدة هو الاستعمار نفسه الذي حاول أن يقضي على أسس حضارتنا حتى الدينية منها واللغوية والفكرية وما حاول الاحتفاظ به من الحضارة الفنية كالآثار والفولكلور والمدن العتيقة ، انما كان بقدر مايحقق أهداف الاستعمار ومصالحه واستغلالاته السياحية مثلا. ثم مما زاد في تركيز العقدة ان الحضارة التي حملها الاستعمار اقترنت بالجانب السيء فيها : العنصرية ، والاستعلاء الفكري ، والاغراق في المادية ، والرأسمالية الاستغلالية . ونهب الثروة الوطنية ، وتركيز الاقتصاد النفعي ، وحتى التعليم كان ـ في كثير من البلاد

العربية – على حساب اللغة والدين والانسية والحضارة الوطنية .

هنالك اذن مركبات وعقد ازاء الحضارة الاوربية الحديثة جاءتنا من انعدام الثقة بين الوطن العربي وأوربا الاستعمارية .

والآن بعد ان استقلت معظم بلاد الوطن العربي وأصبحت تصنع مصيرها بنفسها، هل يجوز ان تظل هذه العقد متحكمة فينا ونحن نتلمس طريقنا نحو حضارة جديدة او نحو تجديد حضارتنا؟ .

اذا كان للمخاوف القديمة مايبررها فيجب في عهد بناء كياننا الجديد ان نتغلب على هذه المخاوف والعقد ، وان نتخلص منها وقد اصبح في امكاننا ان نتحكم فيما نقبله وما نرفضه من حضارة الغرب . واعتقد ان الانتصار على هذه العقد لم يعد من حقنا فحسب، ولم يعد واجباً علينا فحسب ، ولكنه اصبح في استطاعتنا لأننا بلغنا فيما اعتقد سن الرشد ، ليس الرشد السياسي فحسب ، ولكن الرشد الحضاري كذلك .

ألح على هذه النقطة بالذات لأني لاحظت في بحث الدكتور ابولغد ما أشعرني بأن بعض هذه العقد مايزال متحكماً في النخبة المفكرة . ولذلك فان ازمة التطور الحضاري ليست عملية تعترضنا أثناء الممارسة فحسب ، ولكنها فكرية كذلك تعترضنا اثناء التفكير في طريقة الخروج من الازمة .

من هذه النقط التي لاحظتها في بحث الدكتور ابولغد والتي يحتاج فيها الرأي الى مناقشة :

أولاً : حينما قال : « ان حركات المقاومة السياسية والعسكرية في الوطن العربي نشأت للقضاء على السيطرة العسكرية السياسية للمستعمر الغربي . ورغم حرص حركات المقاومة على الاستقلال السياسي للاجزاء المختلفة للوطن العربي إلا أنها قبلت مبدأين اساسيين . ويهمنا في هذه المناقشة المبدأ الثاني الذي قال فيه ، نجد ان حركات المقاومة التي رافقت وحلت محل الاستعمار انطلقت من منطلقات عربية غربية ، وهدفت الى تحرير ذلك الجزء من الوطن العربي الذي نشأ فيه . ولا نود أن نقول انها رفضت فكرة الوحدة العربية أو وحدة الوجود العربي ، الا انها مع ذلك مارست هذا الرفض على الصعيد العملي . ويخلص من ذلك الى انعدام الحوار الحضاري على المستوى العربي ككل .

وهذه ظاهرة حقيقية يؤسف لها . ولكن لاينبغي ان ننسبها لمنطلق غربي في التفكير ولا للرفض العملي لفكرة الوحدة او وحدة الوجود العربي بمقدار ما يجب ان نرجعها الى حقيقتها ، وهي التهاون في تنسيق النشاط الفكري وفي التعاون بين مراكز الحضارة كالجامعات والمجامع ودور النشر وأجهزة التثقيف والاعلام . الفكر الغربي لايعرف هذه الحدود . ويمكنك أن تقرأ الكتاب الانكليزي أو الفرنسي في أي بقعة من العالم في نفس الاسبوع الذي يصدر فيه في باريس او لندن مثلاً ، ولكن لايمكنك أن تقرأ حتى كتابك في المغرب لو صدر في بيروت او الكويت مثلا الا بالصدفة . ومثل ذلك يقال عن الحوار الحضاري على النطاق العربي .

المشكلة أننا لم نجهد أنفسنا بعد للحياة في العصر الحضاري الحديث . ولا ينبغي أن نعلق تخلفنا في ذلك على المنطلق الفكري الغربي .

ثانيا حينما قال :

« ان ما حدث نتيجة لوجود الاستعماري السياسي والفكري وتغلب التفكير الغربي أن الأوطان العربية قبلت أشكالاً من السيطرة السياسية ونظريات الحكم المستمدة من الفكر الغربي الليبرالي والفاشي والماركسي منه ، ولم يعمد الفكر السياسي العربي الأصلي أي العكاس في الحكم في العالم العربي الا في المناطق التي نعتها بالتقليدية والمشيخية . فان كان هناك حوار معاصر حول مستقبل الحاكم والمواطن في هذا الوطن أو ذاك فانني لا أبالغ ان قلت بان هذا الحوار يقتصر أولاً على تلك الفئات التي تثقفت غربياً أو تلك التنظيمات السياسية التي استلهمت التنظيمات السياسية الغربية نموذجاً لما ترغبه » ويستمر الدكتور أبو لغد في توضيح هذه الفكرة ليخلص الى هذا التأكيد : « الواقع ان المفكر العربي لم يعد الى التاريخ العربي ليدرس ويوضح الاسس الاشتراكية لمجتمع عربي سابق ، وكأنه باستخدام شعار معين أثبت الاصول التاريخية للفلسفة الغربية المستوردة » .

في هذه الفقرة كثير من النظريات والاستنتاجات لست على وفاق مع الدكتور ابراهيم حوشا .

أولها : ان تغلب التفكير الغربي هو الذي جعل الاوطان العربية تقبل اشكالاً من السيطرة السياسية والنظريات الليبرالية والماركسية . هذه الفكرة يمكن أن تقال في عالم معزول لايعيش عصره . والعالم العربي لايمكن أن يكون معزولاً عن التيارات

العالمية المذهبية والسياسية . فلا مندوحة له وهو يقرأ تاريخ اليونان أن يعرف شيئاً عن الانظمة الديمقراطيـة عند اليونان أو عن سيادة القانون عند الرومان ، فأحرى حينما يعايش نظم الجمهوريات الفرنسية المتعاقبة او النظام الديمقراطي الانجليزي او نظـام الامية السوفييتي او الحزب الوحيد في الديمقراطيات الشعبية الشرقية ، ولا مندوحة له عن ان يتأثر بالليبرالية الامريكية أو بالماركسية كمذهب فلسفي وكنتاج حضارة فكرية .

القضية ليست قضية استعمار أو تأثر بالفكر الغربي بمقدار ما هي قضية معاصرة، ولا أظن الدكتور الا متفقاً معي في أن حرصنا على التراث الحضاري والفكري والفني لا يمنعنا من أن نعيش عصرنا ، وان نتعامل مع المنطلقات الحضارية لهذا العصر ، كما لو كانت منا وإلينا . ذلك لأن القيم الحضارية الاصلية تختفي فيها الشرقية والغربية ، فهي قيم انسانية أو اصبحت كذلك . ولهذا فهي ملك لنا جميعاً ، اذا اقتبسنا منها – وليس لنا محيد – فليس ذلك ان الفكر الغربي الاستعماري مـا يزال مهيمناً علينا . ولكن الاقتباس ليس معناه الاندماج والتعبد واقفال الفكر دون الاختيار السليم وتجـاوز المعطيات التي قد لا تصلح لهذا المجتمع أو ذاك والتخلص من التجارب – حتى الفكرية منها – المتجاوزة او التي برهنت عن فشلها .

وقالها حين يقول : لم يعد للفكر السياسي العربي الاصلي اي انعكاس في الحكم في العالم العربي . أو حين يقول ، ان المفكر العربي لم يعد الى التاريخ العربي ليدرس ويوضح الاسس الاشتراكية لمجتمع عربي سابق .

وأنا لا أعرف فكراً سياسياً عربياً أصيلاً يصمد للبقاء بشكله القديم في العصر الحاضر . فكل نظريات الحكم التي عرفها العرب والمسلمون الدهمت واختلطت بالانظمة الجديدة على اختلاف اشكالها . ونحـن نقتبس من الغرب فنحن لا نلغي تراث العرب الفكري في السياسة والحكم ، لأن شورى النبي صلى الله عليه وسلم وخلفـائه وعدالة العمرين يمكن تحتيتها جميعاً مع الاشكال الديمقراطية البرلمانية مثلاً ، ولا نكون في ذلك غربيين أكثر منا عرباً أو شرقيين . وتعـادلية المسلمين الاقتصادية والاجتماعية تنشر ظلالها على الاشتراكية المعاصرة ، ولكن لا يمكن العودة الى مجتمع عربي سابق الا اذا الغينا الزمان وعشنا منطوين على أنفسنا . والتفتح الحضاري لا يسمح لنا بذلك .

نعم من الجائز ان تكون لنا أنظمتنا الديمقراطية مثلاً التي تتفق مع حاجياتنا

وتساهم في النهوض بمستوى الحكم عندنا على أسس عربية اسلامية لتخرجه من الانظمة الاقطاعية والقبلية والطائفية والعسكرية لتكون للشعب كلمته . والفكر الغربي لا يمنعنا من ذلك ، ان لم يكن يساعدنا على اجتياز عتبة الماضي المظلم والحاضر المنحرف المضطرب .

ثالثاً : أحب ان اوضح ان هناك فرقاً بين الاستمداد الحضاري والفكري من الغرب وبين ما صنعه الاستعمار حيفا حل ببلادنا . ولهذا فأنا متفق مع الدكتور ابو لغد حيفا يقول: « ان محاولات استئناف النشاط الفكري والسياسي سبقت الوجود الاستعماري في المنطقة ، وكان للوجود الاستعماري أثر سلبي على هذه الحركات الاصيلة بحيث انه شوهها وحول وجهتها وأهدافها وسلبها أصالتها » .

فقد أوقف الاستعمار على الأقل تطور أنظمة الحكم في العالم العربي جميعه والامثلة موجودة في بحث الدكتور ابراهيم اشيف لها مثلاً واحداً غفل عنه هو الحركة الدستورية الديمقراطية التي قامت في المغرب على يد جماعة من المثقفين الذين اشترطوا لمبايعة السلطان عبد الحفيظ سنة ١٩٠٨ عدة شروط منها الرجوع الى الامة والبعد عن الحكم الفردي المطلق ، والوقوف في وجه الاستعمار والجيش الاستعماري الذي كان قد أخذ يهاجم المغرب من أطرافه على الحدود الجزائرية ، وفي شواطىء الدار البيضاء . ثم وضعوا مشروع دستور قدموه للسلطان ليصادق عليه، ويؤكد هذا الدستور استقلال المغرب ، والحريات العامة ، وحرية الرأي والتعبير والنشر ، والزامية التعليم ، والمساواة في الحقوق والواجبات وضمان العدل ، كما ينظم السلطات بين مجلس الامة والسلطان وغير ذلك من الاسس الديمقراطية . وقد فاجأ الاحتلال المغرب قبل تنفيذ هذا الدستور وبداية المرحلة الديمقراطية . واحتجنا الى اكثر من نصف قرن لنسمع بمشروع دستور آخر للمغرب . وما يزال الوضع الديمقراطي مضطرباً غير مستقيم .

وكان الاستعمار الغربي هو السبب .

هناك اذن عصا وضعها الاستعمار في دواليب التطور الحضاري في الوطن العربي . ولكن ليس المسؤول عنها الفكر الغربي الذي تسرب الى الوطن العربي ، ومنه استمد هذه الانظمة والتفكير فيها ، بقدر ما هو مسؤول الاستعمار الغربي وفرق بين الرأيين .

رابعاً ، يذهب الدكتور أبو لغد الى ان التجزئة السياسية التي أحدثها الاستعمار قبلتها ومارستها الحركات الوطنية التي استلمت الحكم في هذه البلاد .

ورغم أنني من الوحدويين العرب ، ومن الذين ناضلوا في سبيل وحدة المغرب العربي منذ الأربعينات ، ورغم أن بلادي المغرب كانت من أشقى البلاد العربية التي أصابها الاستعمار بالنفتت والتمزيق فقسمت الى دول واقتطعت منها أجزاء وما يزال الاستعمار يحتل أجزاء منها ، رغم ذلك كله فاني أعتقد أن الاستعمار ليس مسؤولاً عن النجزئة السياسية في الوطن العربي. فلم يكن هذا الوطن في يوم ما وحدة كاملة حتى في عهد الخلافة العباسية . حقاً لقد مر الوطن العربي بوحدات اقليمية . المغرب العربي في عهد المرابطين والموحدين وبعض فترات المرينيين ، مصر والشام في عهد الأيوبيين وعهد محمد علي وابنه ابراهيم . بلاد الشام في كثير من عهود التاريخ . وحقاً ان الامبراطورية العثمانية وحدت البلاد العربية في مجموعة ولايات ، ولكن كل ذلك لم يعط الطابع الوحدوي السياسي لهذه البلاد جميعا . ولهذا فالوحدة التي عرفها الوطن العربي هي الوحدة الفكرية الثقافية الحضارية ، الدينية اللغوية ، وهي بدون شك أقوى من الوحدة السياسية أو هي السبيل الى تحقيق الوحدة السياسية لو أردنا ذلك . وهذه الوحدة لم يستطع الاستعمار ان يقضي عليها ، ولم يستطع الفكر الغربي الذي أحيى النزعات الاقليمية كالفرعونية والبربرية والفينيقية والزنجية .

معنى هذا أن الحركات الوطنية التي استلمت الحكم بعد الاستعمار لم ترث واقعاً استعمارياً تبنته ولم تحاول تغييره ، ولكنها ورثت واقعاً تاريخياً — ان صح التعبير — ستنجح في تغييره لو تبنت الامة العربية فكرة حضارية جديدة تقوم على أساس الامة العربية بالمعنى الحضاري الثقافي الفكري الاقتصادي لهذه الامة ، إلا بالمعنى العرقي .

فماذا نريد ان نكون وما هي الحضارة التي نريد أن نبني .

هذا هو جوهر الأزمة .

نحن لانستطيع أن نتخلص من كل هذه المظاهر الحضارية التي وفدت علينا مع الغرب بكل سيئاتها التي عرفناوبكل محاسنها التي نغري .ولا نستطيع أن نهزم أمام التحدي الحضاري الذي واجهنا مع الاستعمار ، ولا نستطيع ان نتخلص من ماضينا وتراثنا ومفاهيمنا للحياة . ولكننا لانستطيع ان نتفوقع حول هذه المفاهيم القديمة حتى لو أردنا ذلك .

هناك صدام بين التراث كما ورثناه في مظاهره الفكرية والاجتماعية والابداعية الفنية من أدب ورسم وموسيقى وفنون شعبية، وبين المعاصرة الحضارية كما وردت علينا

من الغرب والشرق. وهناك صدام بين الانظمة التقليدية التي ورثناها في الحكم وفي الاقتصاد وبين الأنظمة الحديثة المتمثلة في مظاهرها الديمقراطية الغربية أو الدكتاتورية المقنعة ، أو الديمقراطية الاجتماعية ، وفي مظاهرها الليبرالية والاشتراكية والشيوعية .

اننا لانستطيع أن ننتمي انتماء كاملاً لحضارة الغرب بكل آفاقها وبكل تجاربها الناجحة والفاشلة .

وقد يكون هذا الموقف غريباً من عالم يتفتح على المستقبل ، ازاء حضارة برهنت على تفوقها وعلى قدرتها على الوصول الى المستقبل في الحاضر . قد يكون نوعا من الرجعية وعدم اعتراف بالتفوق الحضاري الحديث او عدم ثقة فيه ، وذلك مظهر من مظاهر عقدة الخوف التي أشرنا اليها سابقاً .

ولكننا مع ذلك لانستطيع أن ننتمي الى عالم عربي اسلامي مقفل فنتولى ظهرنا للتطور الحضاري الغربي ، وقد قلنا من قبل أننا لانستطيع ذلك لو أردنا .

الانتماء الكامل للغرب ولو باعتبار مصر — مثلا — جزءاً من اوربا كما كان المنادون ينادون في اواخر القرن الماضي واوائل هذا القرن ، او اعتبار المغرب جزءاً مما وراء البوغاز ، لأن هذا الانتماء او ذاك لايحل المشكلة .

والتقوقع في عالم عربي اسلامي مقفل لايحل المشكلة كذلك .

فما هو الموقف .

أمامنا مثال من اليابان والصين على اختلاف الاتجاهين . فقد اقتحمنا معا الحضارة الحديثة ، واقتبسنا من الغرب منهجها المختلف ، على اساس مذهبين مختلفين في ثورتهما الفكرية والاقتصادية والاجتماعية ، ولكنهما معاً ينتميان الى اوربا وامريكا ، بكل أبعادهما وآفاقهما . الصين جزء من العالم الاوربي الشيوعي ، ولكنها مازال الصين في اسسها الحضارية تستمد من تاريخها وتراثها الفكري وربما العلمي والطبي . اليابان جزء من العالم الاوربي الامريكي في تقنيتها الصناعية ونشاطها الاقتصادي والعمراني ، ولكنها مازال اليابان في تقاليدها وأسسها الحضارية وتراثها القديم حتى الخرافي منه .

هل ذلك يعني ان هناك واجهتين للحضارة : واجهة متحركة متجددة هي التي لسائر الحياة ، وواجهة تعيش مع الماضي وتصلح لتكون حضارة المتحف ؟.

يخيل الى ان المثال من الصين واليابان يضعنا في عمق ازمة التطور الحضاري وهو الآخر لايحل المشكلة .

ونعود فنسأل : ماذا نريد ان نكون وماهي الحضارة التي نريد ان نبني .

في ثورة التفكير في الازمة لؤكد لأنفسنا ان المظهر العام للحضارة الحديثة غربية أو شرقية سيصبح انسانيا . فهي ليست حضارة أوربة أو أمريكا فحسب ، ولكنها تستمد أسسها من كل التراث الانساني ، ويجب ان تعود تراثا لكل الانسانية . هي اذن حضارتنا بمقدار ماهي حضارة الاوربيين والامريكيين ، لأن اوربا هي اليونان بكل تراثها الفكري والفلسفي والفني ، وأمريكا هي روما بكل تراثها التوسعي وكل عملها الكبير العظيم ، وتراث اليونان والرومان مر — أو بعضه على الاقل — من هنا ، من أرض العرب ليصل الى اوربا ثم امريكا ... فهذه الحضارة اذن تراث لنا فيه ضلع ، ولا يمكن ان نجمد مساهمتنا في اقامة أسسه بعد ان اصبح انسانياً عالمياً .

وعلى ذلك فموقفنا من هذه الحضارة يجب ان يتسم بالفهم الصحيح لمسؤوليتنا في الحياة العصرية وفي بناء كياننا على أساس من الواقع حتى لانكون مرة اخرى ضحية للاستعمار نتيجة لتخلفنا الذي سيأخذ طابعاً آخر :

هناك الحضارة الفكرية التي يجب ان يعتبر كل تراثها القديم الاوربي والاسلامي والمسيحي والعربي تراثاً انسانياً . ولا محيد لنا عن المساهمة في تطور الفكر الانساني دون أية عقدة او مركب ، نقبل اونرفض لايهم ، ولكن المهم ان يكون كل هذا التراث لنا نساهم فيه كما تساهم فيه أية دولة من قلب اوربا اومن أطراف آسيا أو أمريكا .

وهناك الموقف من الحضارة الاقتصادية . جانبها العملي لن يستثيرنا ، فقد اصبح اقتصادياً كمنتجين ومستهلكين جزءاً متمماً للاقتصاد العالمي ولا محيد عن أن يكون كذلك . فقد تقف موقف الاختيار بين الليبرالية والاشتراكية المقيدة ، فلي علينا هذا الاختيار مصلحة شعوبنا الفقيرة الجائعة وسرعة التطور حتى في العالم الثالث ، ولكن لابد من ان نسير في تيار الحضارة الانسانية الحديثة .

هناك الانظمة السياسية التي مانزال نعيش فيها كما يعيش العالم الثالث موزعين بين الحكم الفردي بمختلف مظاهره ، ولا سلطان للشعب على مصيره وبين الحكم العشائري والقبلي والطائفي . ولا يمكن ، ونحن بسبيل الى التطور من هذه الانظمة المتخلفة ، ان نعود الى الانظمة القديمة مهما كان طابعها اسلامياً او عربياً . لابد من ان نساير العصر لنختار بين الانظمة الديمقراطية أصلحها لبلادنا وأكثرها تحقيقاً للحرية وأحبها لمشاركة الشعب في تدبير شؤونه .

وهناك الجانب الابداعي في الحضارة الانسانية : الآداب والفنون الجميلة والفنون المعمارية . وعبقريتنا في هذه الحضارة لن تذوب اذا ماسلكنا سبيل الحضارة الانسانية فيما تنتج من أدب ورسم وموسيقى ورقص ومعمار .

وهناك الحياة اليومية التي يطبعها الاقتصاد والفكر والسياسة ، لتتحكم فيما كل هذه المنابع لتصوغها حياة عمالقة لحياة الانسان في اوربا وأمريكا والصين واليابان .

موقفنا من كل هذه الآفاق الحضارية لايعني اننا سنأخذ ونقلد لنصبح صورة ممسوخة من الغرب او الشرق ، ولكننا ، ونحن نندمج في هذه الحضارة دون عقدة او خوف ، سنحتفظ بتراثنا نهل منه كل مايسام في تطورنا الحضاري ، ولا يقف حجر عثرة في سبيل تحررنا من التخلف ، وكل مايطبع منهجنا بالذاتية والتفرد .

سنكون انسانيين ، ولكننا عرب ومسلمون نسام في الحضارة الحديثة بكل ابعادها ولكننا نحتفظ بذاتيتنا حتى لانكون ذيلاً للآخرين . ندرس بعمق كل التيارات الفكرية المعاصرة ، ولكن لايكون بعضنا متعبداً في محراب الرأسمالية او الشيوعية إلا عن اقتناع فكري وليس عن انجذاب وراء الشعارات .

بهذا التحرر من جميع العقد يمكن ان نحل مشكلة التطور الحضاري ، ويمكن بالتالي ان نقضي على رواسب الاستعمار الذي حاول ان يسلب عن بلادنا كل اصالة حضارية وفكرية في الوقت الذي حاول ان يجعلها صورة ممسوخة لمثاله .